تدرج الحوار في القصص القرآني

مفهومه ـ وأنواعه ـ وآدابه

أ.د. أحمد محمد الشرقاوي

أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

الزقازيق

جامعة الأزهر.

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

ملخص البحث

يدور هذا البحث حول التدرج في الحوار ، من خلال القصص القرآني، حيث لفت نظري في الحوار القرآني عند دراستي للقصص القرآني ذلك التدرج الحكيم، والترتيب المحكم، بحيث لو قدمت جملة على أخرى لاختلّ المعنى. والقرآن كله حوارات مختلفة ومتشابكة ومتنوعة، الغرض منها تقرير العقيدة والأحكام وغرس القيم والأخلاق، والتأثير على النفوس، وشحذ الهمم. ويعلمنا القرآن كيف نتحاور مع من يخالفنا في العقيدة، كما يعلمنا كيف نتحاور مع بعضنا البعض، فبالحوار تتقارب المسافات، وتتغير القناعات، وتتآلف القلوب. ولقد بينت في هذا البحث أهمية التدرج في الحوار ، وكونه سمة من سمات المنهج القرآني، ومسلكا من مسالك الدعوة والتربية، والإصلاح، والتفاهم، كما استوقفتني ثلاث قصص قرآنية تجلى فيها هذا التدرج القرآني في الحوار، لإقامة الحجة، وكسب القلوب. قصة ابني آدم، كيف كان رد فعل الابن البار عندما باغته أخوه مهددا بقتله، كيف حاوره، ليس دفاعا عن نفسه ودفعا للخطر الذي يحدّق به فحسب، بل من أجل ان يصلح أخاه ويرشده لطريق الخير، وكذلك حوار إبراهيم مع قومه ثم مع أبيه كيف نتعلم أسس التدرج في الحوار من مجاراة الخصم والبدء بالمسلمات، وتقديم ما يحتاج لتقديم وتأخير ما حقه التأخير، بحيث يخرج الأسلوب ملاطفا والقول ليِّنا، وكذلك حواره مع أبيه بهذا الأدب والعاطفة الجياشة، وهذا الترتيب الحكيم، ثم التدرج في قصة أصحاب القرية، كيف لم يرسل الله الثلاثة دفعة واحدة، بل أرسل اثنين ثم عززهما بثالث، ثم جاء دور الرجل الصالح وحواره البناء وأسلوبه الأخّاذ، كيف تدرّج بقومه، ونجحت دعوته، وإن كانوا قد غدروا به فنال الشهادة تتويجًا لهذا العمل البطولي.

كلمات مفتاحية: حوار، تدرج، قصص، القرآن.

Research Summary

This research revolves around the gradation in dialogue, through Quranic stories. When I study Quranic stories, my attention was drawn to the wise gradation, and the precise arrangement, so that if I presented one sentence over another, the meaning would be distorted. The entire Qur'an is a different, intertwined and varied dialogue, but its purpose is to establish the belief and rulings, instill values and morals, influence the souls, and sharpen the spirit. The Qur'an teaches us how to engage in dialogue with those who disagree with us in belief, as it teaches us how to engage in dialogue with each other. Through dialogue, distances converge, convictions change, and hearts reconcile.

I have shown in this research the importance of gradualism in dialogue, as it is one of the characteristics of the Qur'anic approach, and a path of advocacy, education, reform, and understanding. The story of my son Adam, how the righteous son reacted when his brother threatening to kill him, how he argued with him, not only in defense of himself and in defense of the danger that beset him, but in order to reform his brother and guide him to the path of good, as well as Abraham's dialogue with his people and then with his father how to learn the foundations of The gradualness in the dialogue from keeping pace with the opponent and starting with the postulates, and presenting what is needed to advance and delay what the delay is entitled to, so that the style is eloquent and the speech is soft, as well as his dialogue with his father with this politeness and passion, then gradually in the story of the people of the village, how God did not send the three at once, rather He sent two and then strengthened them with a third, then came the role of the righteous man, his constructive dialogue and his captivating style, how he graduated with his people, and his call succeeded, and if they had betrayed him, he obtained martyrdom as a culmination of this heroic act.

Keywords: dialogue, gradation, stories, the Qur'an.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوثِ رحمةً للعالمين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ أجمعينَ .

وبعد : فالقرآن الكريم كتاب هداية للبشرية جمعاء في شتى مجالات الحياة قال تعالى﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩] ، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ الإسراء: ٩ وللقصص القرآني مقاصد سامية وأغراض حكيمة وفوائد متعددة تتواكب وتتناسب مع المقصد العام للقرآن الكريم : وهو هداية البشرية إلى ما يصلحها في عاجلها وآجلها، في معاشها ومعادها. قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ يوسف: ١١١ وقال ﷻ ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ هود: ١٢٠

فالقصص القرآني : عظة وعبرة وهداية ورحمة وتفصيل وبيان. وتثبيت للقلوب وتزكية للنفوس وسمو بالأرواح .

والحوار سبيل الإقناع ومفتاح القلوب وأسلوب التواصل والتفاهم، ووسيلة التعارف والتآلف ومنهج الدعوة والإصلاح ومسلك التربية والتعليم، ومجمَعُ التقارب والالتقاء، وسَنَنُ الأنبياءِ عليهم السلام، مع أقوامهم لإقامة الحجج ودفع الشُّبه .

ولقد لفت نظري في الحوار القرآني عند دراستي للقصص القرآني ذلك التدرج الحكيم، والترتيب المحكم، بحيث لو قدمت جملة على أخرى لاختلّ المعنى،

والتدرج سنة من سنن الله تعالى في خلقه، وكذلك الإمهال، لإقامة الحجة، ولمراجعة النفس. قال تعالى ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ الطارق: ١٧

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ فاطر: ٣٧، نلمسُ ذلك في قصة إبراهيم مع قومه ومع أبيه، كيف تدرج معهم في الحوار؟ وكذلك في قصة هابيل مع أخيه قابيل، كيف تأنى معه وتدرج في نصحه، بحيث لو قدمنا جملة على أخرى لاختلّ النظم الحكيم.

ونتأمل كيف تبدأ دعوة الأنبياء أقوامهم بالتوحيد وتجنب الشرك ثم معالجة الانحرافات، ثم الترغيب والترهيب، وفي هذا من التدرج ما فيه.

انظر هذا التشابه التام بين دعوة نبي الله هود ونبي الله صالح رغم ما بينهما من الأحقاب المديدة والمسافات البعيدة، فقوم عاد جنوب جزيرة العرب جهة حضرموت، صاروا أثرًا بعد عين، وقوم ثمود في شمال الجزيرة منطقة العُلا، لا تزال مدائنهم قائمة، ومع بعد الزمان والمكان، إلا أن منهج الأنبياء واحد كما ورد في سورة الشعراء هذا التطابق بين الدعوتين، قال تعالى ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٢٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٧أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٣١ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾[١٢٣ – ١٥٤]، من هنا كانت فكرة هذا البحث الذي قام على الخطوات الآتية:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجه.

الفصل الأول : حول الحوار والتدرج تعريفا وأهمية.

المبحث الأول : معنى الحوار وأهميته.

المبحث الثاني : معنى التدرج وأهميته.

المطلب الأول: معنى التدرّج.

المطلب الثاني: أهمية التدرج.

أولا : التدرج سمة من سمات المنهج القرآني.

ثانيا: التدرج منهج دعوي قويم.

الفصل الثاني: التدرج في الحوار من خلال القصص القرآني

المبحث الأول: التدرج في قصة ابني آدم.

المبحث الثاني: التدرج في قصة إبراهيم مع أبيه.

المبحث الثالث: التدرج في قصة أصحاب القرية.

الخاتمة. نسأل الله حسنَها، وتدور حول نتائج البحث وتوصياته ومراجعه

الفصل الأول : حول الحوار والتدرج تعريفا وأهمية.

المبحث الأول : معنى الحوار وأهميته.

أولا : معنى الحوار لغة واصطلاحا:

قال ابن منظور: " أَصل الحَوْرِ الرجوع إِلى النقص ... وهم يَتَحاوَرُون أَي يتراجعون الكلام، والمُحاوَرَةُ مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره والمَحُورَةُ من المُحاوَرةِ مصدر كالمَشُورَةِ من المُشاوَرَة ... وإِنه لضعيف الحَوْرِ أَي المُحاوَرَةِ ".[1]

وقال الراغب الأصفهاني: "المحاورةُ والحِوَارُ: المرادّةُ في الكلام، ومنه التحاورُ".[2]

وقال تعالى في قصة صاحب الجنتين(وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾) الكهف:

---

١ لسان العرب (٤/٢١٧).

٢ مفردات القرآن (٢٦٢).

٣٤ – ٣٧، قال القرطبي: " أي يراجعُهُ في الكلام ويجاوبُهُ، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور التجاوب". [١]

وقال تعالى في سورة المجادلة(قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١) المجادلة: ١، أي : تراجعكما في الكلام .

الحوار اصطلاحا هو : مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين، مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع أحدهما برأي الآخر، أو لتقريب وجهات النظر .

ثانيا : بين الجدل و الحوار والمناظرة

- الجدل يقع بين مختلفين كلٌّ واحد يريد أن يثبت صحةَ ما يعتقده .
- الحوار قد يكون بين الزوج وزوجته بين المفتي والمستفتي بين الحاكم والمحكوم، كما يكون أيضا بين المختلفين في الرأي أو الاعتقاد، ولكنه يتم بطريقة هادئة .
- في الجدل يحرصُ كلٌّ مجادلٍ على نقض حجج خصمه وإثبات حجته، أما الحوار فإنه قد يكون الغرض منه التعليم أو التربية والإصلاح والدعوة إلى الله، كما يهدف أيضا إلى نقض الشُّبه وإقامة الحجج، أو تقريب وجهات النظر أو التعارف أو التآلف أو الاستيضاح والاستبيان .
- المناظرة تكون بين طرفينِ حول قضيةٍ محدَّدة ووفق أسسٍ وضوابط يجتمع عليها المتناظران ولا تكون إلا بين مختلفَينِ في الاعتقاد أو في الرأي أو في المذهب .

١ الجامع لأحكام القرآن (٤٠٣/١٠).

- الجدل منه المحمود ومنه المذموم وأكثر وروده في القرآن : عن المذمومِ منه وهو الجدل العقيم والجدل بالباطل، والجدل بغير علم ولا هدى، أما الجدل المحمود فهو الذي يهدف للوصول إلى الحق وإظهاره .
- الحوار أعم من الجدل ومن المناظرة ؛ إذ يشمل الجدل بشقيه لأنه نوعُ حوارٍ، كما يشملُ المناظرةَ باعتبارها طريقةً من طرقه .

ثالثا: أهمية الحوار:

للحوار أهميته البالغة فهو من أساليب الإقناع وإقامة الحجة، ولقد سلكه القرآن إلى حد كون القرآن كله حوارات مختلفة ومتشابكة ومتنوعة، لكن الغرض منها تقرير العقيدة والأحكام وغرس القيم والأخلاق، والتأثير على النفوس، وشحذ الهمم، سلك القرآن هذا المسلك مع المخالفين له؛ لإقامة الحجة عليهم، وتفنيد شبههم ودحض أباطيلهم، كما سلكه مع المؤمنين به تثبيتا لهم وترسيخًا للأحكام والآداب.

يعلمنا القرآن كيف نتحاور مع من يخالفنا في العقيدة، كما يعلمنا كيف نتحاور مع بعضنا البعض، فبالحوار تتقارب المسافات، وتتغير القناعات، وتتآلف القلوب، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ غُلَامًا شَابًّا أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، فَصَاحَ النَّاسُ فَقَالَ: «مَهْ» ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «أَقِرُّوهُ ادْنُ» ، فَدَنَا حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ؟ أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ

لِخَالَاتِهِمْ» . فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «اللهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»[1]

فانظر كيف قرَّبه نبينا صلى الله عليه وسلم وأدناه وكيف حاوره؟ ليس لإقناعه فحسب بشناعة الزنا وبشاعة الفجور والخنا، بل خاطب عاطفته ووجدانه، فالحوار يفتح مغاليق القلوب، لأن العقل قد يسلّم بالحجة القوية، ويبقى القلب موصدًا! وهنا يُفتح بالحوار مغاليق القلوب، إذ يسري إلى الوجدان، ويبلغ أعماق الجَنان.

لقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته الجهرية بالحوار، لم يخطب في قومه عندما صعد على الصفا ليجمع الناس ويُسمعهم، بل حاورهم ليقنعهم ويؤلف قلوبهم، فالحق مرٌّ في حلوق أهل الباطل، والحجة العقلية وحدها لا تكفي بل لا من التلطّف واللين، والذي يكمنُ في أسلوب الحوار، فقد أرسل الله موسى أشد اهل الدنيا كفرا وطغيانا وامره بمحاورته بلين ولطف مع قساوة قلبه وما هو عليه من بطش وعنف، قال تعالى(ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾)ً طه: ٤٢

---

١ – رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٥٦ – ٢٥٧، ٢٥٧، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢/ ٢٨٠) :رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. و قال العراقي في المغني : رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح.

– ٤٧ وقال تعالى لموسى عليه السلام (ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾) النازعات: ١٧ – ١٩

ولم يقتصر جانب الحوار على دحض الشرك وإرساء الإيمان، بل نلمس الحوارات القرآنية والنبوية في تقرير الأحكام وترسيخ الآداب.

المبحث الثاني : معنى التدرج وأهميته.

المطلب الأول: معنى التدرّج.

أولا : التدرُّج لغة

مصدر تدرّج ، وأصله درج ، "دَرَجَ الرجل والضَبُّ يَدْرُجُ دُروجاً وَدَرَجاناً، أي مشى. ودَرَجَ، أي مضى لسبيله... ودَرَّجَهُ إلى كذا واستدرجه، بمعنىً، أي أدناه منه على التدريج، فتَدَرَّجَ هُو... والدَرَجَةُ: المِرقاةُ، والجمع الدَرَجُ. والدَرَجة: واحدة الدَرَجات، وهي الطبقات من المراتب. [١]

ثانيًا: التدرُّج اصطلاحا

لم أجد من عرفه في كتب الأصول وغيرها، لذا سأجتهد في تعريفه في ضوء ما درست: نزول القرآن الكريم مفرقا حسب الوقائع والأحداث والمراحل التي مرت بها الدعوة، كذلك تدرج آيات القرآن في الخطاب، بتقديم ما هو أهم على المهم، وتدرج القرآن هو انتقاله بالقارئ خطوة خطوة، وبناء المجتمع المسلم لبنة لبنة. إذ لو نزل القرآن جملة لما كان حفظه وتعليمه ميسورا، ولشق تطبيقه والعمل به.

المطلب الثاني: أهمية التدرج.

١ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٣١٤).

أولا : التدرج سمة من سمات المنهج القرآني.

بينما نزلت الكتبُ السابقةُ جملةً واحدة، نزل القرآنُ الكريمُ على مدار ثلاثٍ وعشرين سنة وفي غضونِ أحداثٍ متفرِّقةٍ وأحوالٍ متباينة حتى اكتمل نزولُه وانتظمت حبَّاتُ عِقدِهِ قال تعالى (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾) [الفرقان: ٣٢ – ٣٣] .

أي نزل القرآن مفرَّقًا ولم ينزل جملةً واحدة، مراعاةً لهدفٍ أساسيٍّ، وهو تثبيت قلب النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين، حيث ينزل القرآن مؤزِّرا لهم ومؤيِّدا لمواقفهم ومجيبًا عن تساؤلاتهم، ومواكبا للأحداث مُعقِّبًا عليها، يردُّ على أسئلة الكفار ويفنِّدُ شبُهاتِهم ويبدِّدُ اعتراضاتِهم أولا بأولٍ (وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾) [الفرقان: ٣٣] . قال الفراء : " أي هلا أنزل عَلَيْهِ القرآن جملةً، كما أنزلت التوراة على موسى." [1]

وقال تعالى (وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾) [الإسراء: ١٠٦] . أي : نزَّلْنَاه مفرَّقًا منجَّمًا لتقرأه على الناسِ على مَهَلٍ وتؤدةٍ وتَثَبُّتٍ ؛ فإنه أيسرُ للحفظِ، وأعونُ في الفهم والتطبيقِ، ونزَّلناهُ تنزيلًا على حسب الأحوال والمصالح . " فلقد شاءت الحكمة الإلهية أن يظلَّ الوحيُ متجاوبا مع الرسول ﷺ يعلمُه كلّ يوم شيئا جديدًا، ويرشده ويهديه ، ويثبته ويزيده اطمئنانا، وتجاوُبا مع الصحابة يربِّيهم ويصلح عاداتهم، ويجيب عن وقائعهم، ولا يفاجئهم بتعاليمه وتشريعاته، فكان مظهر هذا التجاوب، نزوله

١ – معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦٧) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٥) .

منجما بحسب الحاجة، على هذا المنوال ظل القرآن ينزل نجوما، ليقرأه النبيُّ ﷺ على مُكْثٍ ويقرأه الصحابة شيئا بعد شيء، يتدرجُ مع الأحداثِ والوقائعِ والمناسباتِ الفرديةِ والاجتماعية التي تعاقبت في حياة الرسول ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاما " [1] .

ويتدرَّجُ بهم في الأحكام الشرعية ؛ إذ لو فرضها دفعةً واحدة لشقَّ ذلك على النُّفوس وثقُل، ولكنَّ القرآن تدرَّج بأهل الإيمانِ حتى يُطيقوها ويمتثلوا لها، فانتقل بهم من حكمٍ إلى حُكمٍ ومن تشريعٍ لتشريع، ونزلت بعضُ الأحكام مقترنةً بوقائع وأحداث، وبعضُها إجابةً عن تساؤلاتٍ، فكانت أعظمَ رُسُوخًا في الأذهان، وأسرعَ بلوغا إلى القلوب والوجدان .

وعقد ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن : " بابا بعنوان " تكرار الكلام والزّيادة فيه " قال فيه : وأما تكرار الأنباء والقصص، فإنّ اللّه تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة، بفرضٍ بعد فرضٍ : تيسيرا منه على العبادِ، وتدريجا لهم إلى كمال دينه، ووعظٍ بعد وعظٍ : تنبيها لهم من سِنَةِ الغفلةِ، وشحذا لقلوبهم بمتجدِّدِ الموعظة، وناسخٍ بعد منسوخٍ : استعبادا له واختبارا لبصائرهم، يقول اللّه عز وجل (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢) [الفرقان : ٣٢]، والخطاب للنبي، ﷺ، والمراد بالتثبيت هو والمؤمنون .

١ – مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح قال الأستاذ صبحي الصالح رحمه الله تحت عنوان الفصل الثالث: تنجيم القرآن وأسراره : (٤٩) باختصار .

وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّلُ أَصْحابَهُ بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ ؛ مَخَافَةَ السَّآمَةِ [١]، أي يتعهَّدُهُم بها عند الغفلةِ وفُتُورِ القلوب، ولو أتاهم القرآنُ نجمًا واحدًا لسبقَ حدوثُ الأسباب التي أنزله اللّه بها، ولثقلتْ جملةُ الفرائض على المسلمين، وعلى من أراد الدخولَ في الدين، ولبطلَ معنى التنبيه، وفَسَدَ معنى النسخ، لأن المنسوخَ يُعْمَلُ به مدةً ثم يُعْمَلُ بناسخهِ بعده، وكيف يجوزُ أن ينزل القرآنُ في وقتٍ واحدٍ : افعلوا كذا ولا تفعلوه ؟ " [٢] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا ... " [٣]

وتنجيمُ القرآنِ وتدرُّجُه هو سرُّ هذه الرُّوح التي دبَّت في أمة العرب وسرت في عروقهم، وصنعت منهم جيلا فريدا، نَهَضَ بالإنسانية من كبوتها وأيقظَها من سباتها، وأخرجها من جاهليتها، هذا الجيلُ الذي تربَّى وترقَّى على تعاليم القرآنِ، قال مالك بن نبي عن تنجيم القرآنِ وتدرُّجه : " فتلك في الواقعِ هي الطريقةُ التربويَّةُ الوحيدةُ الممكنة في حقبةٍ تتسمُ بميلاد دين وبزوغ حضارة، وسيهدي الوحي خلال ثلاثة وعشرين سنة سيرَ النبيِّ ﷺ وأصحابِه نحو هذا

١ – رواه البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ.كِتَاب الْعِلْمِ – بَاب مَنْ جَعَلَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَيَّامًا مَعْلُومَةً حديث ٧٠ ، ورواه مسلم في صحيحه عنه – صفة القيامة والجنة والنار – باب الاِقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ. حديث ٨٢ – (٢٨٢١) ورواه الترمذي في السنن كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الفصاحة والبيان سنن الترمذي (٥ / ١٤١) حديث ٢٨٥٥ .

٢ – تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ص ٢٣٢ بتصرف يسير .

٣ – رواه البخاري في صحيحه كِتَاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن حديث ٤٧٠٧ .

الهدف البعيد، وهو يحوطُهم في كلِّ لحظةٍ بالعنايةِ الإلهيةِ المناسبةِ، فهو يعزِّزُ جهودَهم العظيمة، ويدفع أرواحهم وإرادتهم نحو البطولة والتضحية ... فهل كان لدرسه أن يجد طريقه إلى قلوبهم وضمائرهم، لو لم يكن نزوله تبعا لأمثلة الحياة نفسها والواقع المحيط بهم ! ولو نزل القرآن جملة واحدة لتحول سريعا إلى كلمة مقدسة خامدة، وإلى فكرة ميتة، وإلى مجرد وثيقة دينية، لا مصدر يبعث الحياة في حضارة وليدة ؛ فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام لا سرَّ لها إلا في هذا التنجيم " [1] .

ومنهج التدرج من خصائص هذا الدين وسماته ومقاصده العامة، والأمثلة على ذلك في القرآن الكريم والسنة كثيرة ومتنوعة . عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ مُعَاذًا ﷺ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقَالَ : " إِنَّكَ تَأْتِي قَوْما مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله، وَأَنّي رَسُولُ اللّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ : فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّهِ حِجَابٌ." [2]

قال ابن حجر : " بَدَأَ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ، وَذَلِكَ مِنْ التَّلَطُّفِ فِي الْخِطَابِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ طَالَبَهُمْ بِالْجَمِيعِ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ لَمْ يَأْمَنْ النُّفْرَةَ . " [3].

١ – الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ١٨٠ ، ١٨١ بتصرف يسير واختصار .

٢ – صحيح البخاري كتاب الزكاة باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة الحديث رقم : ١٣٨٩ وصحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير– باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها . الحديث رقم : ٣– (١٧٣١) .

٣ – فتح الباري لابن حجر ٥ / ١٢٣.

ومن منهج القرآن في التدرُّج أنه يؤخر الكلام عن الثواب والعقاب المترتب على امتثال الأوامر واجتناب النواهي عن ذكرها، ويقدم خطاب العقل على خطاب الوجدان، فيقدم الحكمة التي يسلم لها العقل على الموعظة التي تلامس شغاف القلب، تأمل على سبيل المثال قول الله (وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾) النحل: ٩٢ – ٩٤ ، فبينت الآيات الحكمة من النهي عن اتخاذ الأيمان وسيلة لنيل ما لا يستحقه الإنسان أو دخيلة للتنصُّل من عقاب مستحقٍّ، ثم أعقبت ذلك بالوعيد الشديد على ذلك في الدنيا والآخرة، ونلحظُ كيف يبدأ السياق بعقوبة الدنيا قبل عقوبة الآخرة، مراعاة للترتيب الزمني.

ومعنى الموضع الأول: ولا تكونوا في نقض العهود والأيمان كالمرأة التي تنقض غزلها بعد أن أحكمته وأتقنته، فتفك غزلها بعد أن كان محكماً مثبتًا، تجعلون أيمانكم وسيلة للخداع والمراوغة وسلب الحقوق أو انتقاصها؛ بسبب أن تكون أمة أقوى من أمة أو أغنى منها فتنقضون عهودكم مع الأمة الأخرى استهانة بها وميلًا للأمة الأقوى، إنما يمتحنكم الله بذلك لينظر مدى وفائكم على ما عقدتم ووكدتم من الأيمان وليظهرن لكم يوم القيامة في موقف الحساب ما كنتم فيه تختلفون ليفصل بينكم ويجزيكم بنواياكم وأفعالكم.

ومعنى الموضع الثاني: ولا تتخذوا حلفكم بالأيمان وسيلة للغش والخديعة والتدليس، فتنزلق أقدامكم عن طريق الحق بعد ثبوتها، وتذوقوا السوء في الدنيا

بصدكم عن سبيل الله، ولكم في الآخرة عذاب عظيم هائلٌ لا يُطاق على الغدر والنكس، والصد عن سبيل الله؛ لأن الكافر إذا رأى الغدر من المسلمين صده ذلك عن الدخول في الإسلام.

ثانيا: التدرج منهج دعوي قويم.

التدرُّج في الخطاب، وكذلك الحوار منهجٌ قرآنيٌّ قويمٌ ومسلكٌ حكيمٌ، إذ الانسلاخُ عن الباطل والتبرؤ منه وامتثال التكاليف الشرعية ليس بالأمر الهيّن على النفوس التي جُبلت على إلف العادة والتعصُّب للعشيرة، والميل إلى الراحة والسلامة، والركون إلى اللهو والدّعة، فتحتاج لإيقاظها من غفوتِها، وتنشيطِها من عقال هواها، إلى الحجة البالغة والموعظة الحسنة عن طريق الحوار الهادف الهادئ، قال تعالى (ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨)

النحل: ١٢٥ – ١٢٨

هذه الآيات الكريمة نزلت في ختام سورة النحل، بعد أن ساقت السورة من الدلائل والحجج، وحوت خطابات وحوارات، بيّن تعالى منهج الدعوة إليه، وتنوعها بتنوع أحوال المدعوِّين، فأمرت بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بأحسن طرقه، ثم العدل في استقصاء الحقوق، والصبر وهو خير من المعاملة بالمثل، ثم ختمت السورة بدعوة نبينا ﷺ للصبر مستعينا بالله وأن لا يحزن على مواقف الكفار

ومكائدهم فالله تعالى مع كل تقي محسن بلطفه تعالى ورحمته سبحانه وإحاطته وحفظه.

ادع إلى سبيل الحق والخير بالحكمة وهي الحجة والبرهان الذين يتناسب مع حال المخاطب، ادع الله مستعينا ومصاحبا للحكمة وهي التعقل والتروي، أصل "حَكَم" في اللغة : المنع ؛ ولذا سُمِّي لجام الدابة : حَكَمة الدابة . والحكمة تمنع صاحبها من الوقوع في الخطأ ؛ كما أن راكب الدابة إذا رأى أمامه خطرًا حوّل وجهة فرسه إلى طريق آمن، أو توقف عن السير. وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ : الكلام الطيب الذي تلين له القلوب، ويبقى أثره وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ: وجادلهم بالتي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف. فالقول الطيب الحسن الذي يرغبه في الحق ويزجره عن الباطل بلين ورفق ومجادلة المخالفين بأحسن ما يكون الجدال من أناة ورفق وصدق وتجرد للحق، وحرص على الخير والهدي مع الصبر والتحمل، إن الذي خلقك ورباك وهداك ورعاك هو وحده أعلم بمن اختار طريق الضلال وهو أعلم بمن اتصف بالهداية وآثرها وانضوى لأهلها. وإن عاقبتم من أساء إليكم بقول أو بفعل، فعاقبوا بالمثل ولا تتجاوزا حد العدل، ولئن صبرتم ولم تعاقبوا فضلا وإحساناً فهذا خير عظيم لمن لزم الصبر. واصبر أيها النبي وما هدايتك للصبر وعونك عليه إلا من الله فاستعن به، ولا تغتم لمن اختار طريق الضلال، ولا يضيق صدرك بعدائهم للحق وكيدهم لك. إن الله تعالى مع الذين يحذرون عقوبته ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، معهم بعلمه ورحمته، ولطفه وإحسانه، ومع الذين اتصفوا بالإحسان في أقوالهم وأفعالهم، وفى رفقهم وكرمهم وتسامحهم.

ومن اللطائف التدبرية : قوله ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ حيث أمر الله – سبحانه وتعالى – بالوعظ الحسن وليس بأي وعظ ؛ لأن من الوعظ والتذكير ما ليس بحسن، بل هو منفر، ومنه ما ليس له تأثير في النفوس . و"أطلق الحكمة ولم

يقيدها بوصف الحسنة إذ كلها حسنة ووصف الحسن لها ذاتي وأما الموعظة فقيدها بوصف الإحسان إذ ليس كل موعظة حسنة. وكذلك الجدال قد يكون بالتي هي أحسن وقد يكون بغير ذلك ... " [١]

"وسمى الله تعالى الإذايات في هذه الآية عقوبة، والعقوبة حقيقة إنما هي الثانية، وإنما فعل ذلك ليستوي اللفظان وتتناسب ديباجة القول". [٢]

وقد بين ابن تيمية أصناف المدعوين الثلاثة بقوله : " الناس ثلاثة أقسام، إما أن يعترف بالحق ويتبعه، فهذا صاحب الحكمة، وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به، فهذا يوعظ حتى يعمل، وإما ألا يعترف به، فهذا يجادل بالتي هي أحسن ؛ لأن الجدال فيه مظنة الإغضاب، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان كدفع الصائل " [٣]، وقال الزمخشري :" فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل، وكأنك تضرب منه في حديد بارد . [٤]

ثالثا : من سمات التدرج في الحوار

من أصول الحوار :

أولا : التدرج والبدء بالأهم: ولذلك يسبق الكلام عن الأحكام الحديث عن الإيمان، الذي ينبثق عنه الامتثال لما أمر الله واجتناب ما نهى عنه. فتُقدّم

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٤٤٥)

(٢) تفسير القرطبي (١٠ / ٢٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢ / ٤٥) .

(٤) تفسير الكشاف (٢ / ٦٠١) .

الأصول على الفروع، ومن ثم ركز القرآن المكي على العقيدة وركز القرآن المدني على الأحكام.

ثانيا : التخلية قبل التحلية: ففي سورة الأنعام على سبيل المثال، لما بيَّن تعالى فسادَ ما كان عليه أهل الجاهلية من تحريم ما أحل الله بدون حجة ولا برهان : بيَّنَ تعالى أن طريق معرفة الحلال والحرام هو الوحي.

قال تعالى (قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾) وبعد إبطال حجج المخالفين وبيان ما هم عليه من زيغٍ وضلالٍ، ونقضِ معتقداتهم الفاسدة وتقاليدهم الراكدة، جاءت الآياتُ بالمنهج القويم والطريق المستقيم، المتمثِّل في تلك الوصايا الخالدة، الجامعة لأسسِ العقيدة وأصول الشريعة ومكارمِ الأخلاق قال تعالى ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ) إلى آخر الآيات [١٥١ – ١٥٥]، وحول هذا المعنى يقول الإمام البقاعي : " ولما أبطل دينهم كلَّه أصولاً وفروعاً في التحريم والإشراك، وبين فساده بالدلائل النيرة، ناسب أن يخبرهم بالدين الحق "[1] .

١ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢ / ٧٤٠

ثالثا: البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق: بين كلِّ متناظرينِ مختلفينِ حدٌّ مشترك من النقاط المتفق عليها والتي يسلِّمُ بها الطرفان، والمحاور الناجح هو الذي يظهر مواطن الاتفاق، ويُفَضِّلُ البدءَ بالأمورِ المتفقِ عليها يساعدُ على تقليلِ الفجوة، ويوثق الصلة بين الطرفين، ويعيد الحوار هادئًا هادفًا .

أما إذا كان البدء بذكر مواضع الخلاف وموارد النزاع : فإن فرص التلاقي تقل، وفجوة الخلاف تتسع، كما أنه يغيِّرُ القلوب، ويثيرُ التعصُّب والأهواء، فينبغي البدءُ بالنقاط المشتركة، لتحرير محل النزاع، وتحديد نقاط الخلاف، وحسن ترتيب القضايا والتدرج في معالجتها . تأمل في مقدمة سورة الأنعام حيث كان البدءُ بركيزةٍ أساسيةٍ هي موضعُ اتفاقٍ ونقطةُ تلاقي، وهي توحيد الربوبية الذي يقرُّ به المشركون والذي يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الألوهية فمن آمن بأنه تعالى لا ربَّ غيره يلزمه الإيمان بأنه سبحانه لا معبود سواه، قال تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾وقال تعالى في نفس السورة ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾: فمن أصول الحوار : الارتكاز على القضايا المسلمة والمسائل المتفق عليها، وجعلها منطلقا لما بعدها، فمن طوائف المشركين فضلا عن أهل الكتاب من يؤمن بيوم الحشر ويحْذَرُ من أهواله وشدائده، فلنجعل هذه المُسَلَّمَةَ ركيزةً ومنطلقا للحوار معهم . فلنجعل من الإيمان بيوم الحشر: قاعدةً مشتركةً وركيزةً ثابتةً ومنطلقا حُوَارِيًّا ؛ للبحث عن الزاد الحقيقي لهذا اليوم، والطريق الصحيح للنجاة من أهواله وعقباته فالطريق : طريق القرآن والزاد : مخافة الرحمن .

ونظير هذا التدرج في الحوار القرآني ما ورد في سورة المؤمنون وهي مكية، قال تعالى (قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ) المؤمنون: ٨٤ -٨٩

فلقد تدرج بهم، فبدأ بربوبية الله تعالى للأرض، ثم السماوات السبع، وهكذا. قال ابن سعدي -رحمه الله-: " أي قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه وأقروا به من توحيد الربوبية وانفراد الله بها، على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة على ما أنكروه من إعادة الموتى الذي هو أسهل من ذلك: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا}، ثم انتقل إلى ما هو أعظم من ذلك، فقال: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، ... ثم انتقل إلى إقرارهم بما هو أعم من ذلك كله، فقال: {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} " [1]

رابعا: مجاراة الخصم : وهو من أهم أساليب الإقناع وأقربها ومنه قوله تعالى في سورة سبأ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ، وكما في قصة إبراهيم مع قومه الواردة في سورة الأنعام : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ

١ - الكشاف ٢ / ٣٠ باختصار، ولمزيد بيان يراجع كتاب التفسير الموضوعي لسورة الأنعام للمؤلف. موسوعة التفسير الموضوعي بجامعة الشارقة

ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾) ، أراد عليه السلام أن يقيم الحجةَ على قومه وذلك بمجاراتهم والتدرج بهم من مرحلةٍ إلى مرحلةٍ ومن حجةٍ إلى حجةٍ حتى يأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى، في محاورةٍ عمليةٍ ومناظرةٍ واقعيةٍ ومساجلةٍ ميدانيةٍ، لتكون أدعى إلى القبول وأبلغ في الاحتجاج، قال الحافظ ابن كثير : " والحقُّ أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظرا لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكلِ والأصنامِ ... " [1] وقال الزمخشري : "... وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال .." [2] .

١ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٧٦ بتصرف

٢ – الكشاف ٢ / ٣٠ باختصار، ولمزيد بيان يراجع كتاب التفسير الموضوعي لسورة الأنعام للمؤلف

الفصل الثاني: التدرج في الحوار من خلال القصص القرآني

المبحث الأول: التدرج في قصة ابني آدم.

(وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾)جاءت القصة تسلية وتثبيتا للنبي ﷺ وللمؤمنين، حيث وقف أهل الكتاب منهم موقف العداء بغيا وحسدا، كما وقف قابيل من أخيه هابيل، وكان أولى بهم أن يسلكوا درب الهدى، فإنه يتَّسع للجميع، والقصة بيانٌ لأول جريمة في تاريخ البشرية، ودوافع أول بادرة غدرٍ، فهي جديرةٌ بأن تتلى، ليُنتفع بها، وقد بدأت فصولُها بتنافس بين الأخوين في القربان، أما أحدهما فقدَّم أجودَ ما عنده عن طيبِ نفسٍ راجيًا القبول، وأما الآخر فتقاعس في هذا التنافس، وقصُرت همتُه، وبخلت يداه، فقدَّم أردأ ما لديه وجلس رغم ذلك يترقَّب القبول! فتقبل الله من هابيل قربانَه ولم يتقبل من الآخر، وهنا قال قابيل لأخيه متوعِّدا: لأقتلنك فأفصح عما يجيش في صدره، وفضح ما يضمره، دون أن يفكِّر في سبب ردِّ عمله وخيبة أمله، وهو سببٌ واضحٌ بديهيٌّ.

أعرب عن عدائه لأخيه، دون أن يفكِّر في سبب حبوط عمله وخيبة أمله، فأضرم نار الغضب، وأضمر جمرة الحسَدَ لأخيه الذي سبقه، بل وعزم على

التخلُّصِ منه بغيًا وحسدًا . لم يقف الأخُ الذي بوغت بهذا التهديد موقف الدفاع عن نفسه، أو الهجوم على أخيه، ومقابلة التهديد بتهديد، أو إبراز قدرته واستعراض قوته في الدفاع عن نفسه، بل وقف موقف الناصح، وسلك سبيل الإصلاح، أملا في عودة أخيه إلى صوابه، فكان جوابُ هابيل كافيا لإطفاءِ أوار تلك النار التي تضطرمُ في القلب الحاسد بهذا الترياق الناجع، وذلك البلسم الرقيق حين لفت أخاه إلى أن التنافس على رضا الله تعالى ميدانٌ رحيبٌ يتَّسعُ للجميع، وأن ما عند الله من الثواب والعطاء لا منتهى له ولا حدَّ، فلماذا تضيقُ النفوسُ وتقصُرُ الهمم والمضمارُ فسيحٌ ! ولماذا لا ينشغلُ العبدُ بإصلاح نفسه وتزكيتها وإخلاص نيته وتنقيتها وتجويدِ عملِهِ! بدلا من الاشتغال بغيره حسدًا أو فضولا؟ هكذا يلفتُ نظر أخيه أن القبولَ للأتقياء، فكن يا أخي تقيًّا يتقبل الله منك، وفي ذكر التقوى في هذا المقام تخويفٌ له وصرفٌ عن هذا الخاطرِ الرديء؛ فإن التقيَّ لا يضمرُ سوءا ولا يبيِّتُ شرًّا، بل يجعل شغله الشاغل تعظيمَ ربِّه، والسعي لما يرضيه .

فكما كان التهديدُ مفاجئًا ومباغتا، وقع جوابُ هابيل مُفحِمًا ومبهِتا. حرصًا على إطفاء تلك التي اشتعلت في قلب أخيه.

ثم يواصلُ الأخُ البارُّ نصحه متدرِّجا ومهيِّجًا لمشاعر الأخوة ومحذِّرا من هذا العملِ الآثم، فيقول لأخيه : لن أقابل صنيعك بمثله، فأتساوى بك في الخطيئة والجرم، فكفُّ يدي عنك ليس عن ضعفٍ أو عجز؛ لكنه الخوفُ من الله ربي وربك ورب كل شيءٍ، وقد جمع في الكلام بين لفظ الجلالة وعنوان الربوبية لتدور النفس بين مقام الهيبة والإجلال، وبين استشعار العظمة والمحبة والخوف، والله تعالى ربُّ العالمين خلقهم وهيّأ لهم ما يحفظ حياتهم، وقتل النفس الإنسانية بلا شكٍّ عدوانٌ على من خلقه اللهُ وربَّاه، فبيَّن الأخُ البارُّ أن طبعه المسالمة والكفّ عن الآخرين، لا الاعتداء أو الغدر أو مقابلة الإساءة بإساءة . قال تعالى ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ

إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾المائدة: ٢٨ ، وهنا تصلُ الكلماتُ إلى نهايةِ المطاف، فيأتي الهتافُ الأخيرُ لعله يحيي ذلك الضمير الميِّت، وينهضُ بتلك النفسِ العليلةِ، ويثيرُ خوفَها من العاقبة الوخيمة، إن هي أقبلت على الجريمة فلطالما أصرَّ الأخُ الحاسدُ على قتل أخيه البارِّ فإن البارَّ لن يبديَ مقاومةً، وليتحمل الجاني مسئوليةَ جنايتِه، وأوزار من جنى عليه، ليهوي بها في جهنم، وهذا هو الإنذارُ الأخيرُ للجاني لعله يتراجعُ عن عزمِه، كما بيَّن القتيلُ لقاتله أن ما يتوعد به ظلمٌ، وعاقبة الظالمين النار، وفيه تعريضٌ بما يريدُه أخوه من شرٍّ وهلاكٍ وتوجيهٌ له إلى الإرادةِ المحمودة وهي حرصُ الإنسان على العافية في دينه والسلامة في أخراه، وأنه إذا خُيِّرَ بين أن يكون مقتولا أو قاتلا، فإن النجاة من النيران مقدمةٌ على سلامة الأبدان. ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾المائدة: ٢٩

لقد استفرغ الأخ البارُّ جهده في نصح أخيه ليثنيه عن وعيده ويصرفه عن جريمته، فهل استجاب ذلك الأخُ القاسي لموعظة أخيه؟ واستعطافه له، وهل ارعوى ! كلا فنفسُ الحسود قد زيَّنت له هذا الفعل الشنيع وحرَّضته عليه، ودفعته إليه، فانقاد لها، وأقدم بكلِّ وحشيَّةٍ على قتل أخيه التقي، فهذا الفعل القبيح المستبشع لا تهوِّنُه وترتضيه إلا النفوس المريضة، لقد ارتكب الجاني جريمته، فباء بالخسران، وأيُّ خُسارةٍ أعظم من قتل نفس بريئة استجابةً لنفسِ الأمارةِ، وإرواءً لقلبٍ مفعمٍ بالحقد والكراهية، وأيُّ خسارة أعظم من أن يتحمل قسما ونصيبا من كل جريمة قتل على وجه الأرض–إذ هو القاتل الأول– ويحرم من صفوِ العيش ! ويشعر بوخز الضمير .

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ المائدة: ٣٠

لم تطُل حيرتُه إذ بعث الله له من يرشدُه كيف يتصرَّف، غرابٌ يحطُّ على الأرض وينبشُ فيها، وهنا استوعب الدرسَ وأدرك المطلوبَ منه ورجع إلى نفسه باللوم ؛ كيف وقف عاجزا عن مواراة أخيه، وساءه ما أقدم عليه وشعر بالحرجِ والندم على فعلته، فقد أزهق روحًا بريئةً وأجهز على نفسٍ مسالمةٍ، ولم يستجب لنصح أخيه.﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ ً المائدة: ٣١

الفوائد والاستنباط

١. الحسد من أسباب الصدود عن الحقِّ ومعاداته والكيد لأهله ؛ إذ يُعمي عن الآيات والبصائر ويصمُّ عن المواعظ والزواجر، وينبغي رد الحاسد عن حسده بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وصرفُه إلى النظرِ في أسباب قصوره عن نيل المطالب والسموِّ إلى المعالي وتدارُكِ الحظوظ بالعملِ وسلامة القلب .
٢. التلطُّف واللينُ والتدرُّج في النصح أرجى لسماعه وأدعى لقبوله .
٣. حاجة المجتمعات إلى التدابير الواقية من الجريمة، بالتربية الراشدة وغرس بذور المودة والتسامح ونبذ أسباب الشقاق والعداوة .

المبحث الثاني: التدرج في قصة إبراهيم مع أبيه.

القصص القرآني أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى نتعرف من خلاله على مناهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وأحوال المدعوين وجزاء المؤمنين وعاقبة المكذبين الضالين فهو زاد للدعاة إلى الله تعالى ونبراس لهم .

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه (نظرات في القرآن الكريم) : " القصص من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته ومزج تعاليمه بالقلوب،

والقصص القرآني تاريخ لسير الدعوة في الحياة وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر التاريخ ؟ وما هي العقبات التي اعترضتها ؟ وهل وقفت عندها أم تغلبت عليها ؟ وماذا صنع الأنبياء بإزائها ؟ وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله أوصدّت عنها ؟ وكيف انتهى الصراع بين الغي والرشاد ؟ ... فالقرآن الكريم كتاب الدعوة وتاريخها، وفي تضاعيف السرد التاريخي لأخبار الأولين يزداد عرض الدعوة وضوحا ويستبين منهجها الذي تحدو البشرية إليه والذي لا يختلف وإن اختلفت العصور وكرت الدهور ". [١]

ويقول الدكتور محمد السيد الوكيل :" والقصة من أبرز الأساليب القرآنية في الدعوة إلى الله ومعالجة المشكلات، فهي أسلوب أخاذ يستحوذ على القلوب ويسيطر على النفوس ويهيئ العقول لحسن التلقي فتذعن له في يقين، وتسلم بالنتائج في رضا وثقة، حتى إنك وأنت تقرأ القصة أو تستمع إليها يخيل إليك أنها تعالج واقعا تعيش فيه ويعيش معك فيه المجتمع الذي أنت جزء منه، ذلك لأن مشكلات العالم مهما تباينت الأزمنة، ومهما اختلفت البيئات، ومهما تغيرت الظروف تكاد تكون واحدة، غير أنها تتكرر في صور شتى، لتعطى المشكلة حجمها الطبيعي في البيئة والظروف التي تتكرر فيها، ومن هنا كان القصص القرآني الكريم للعبرة لا للتسلية ." [٢]

أولا : حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه في قصة إبراهيم ودعوته لقومه نلمس أدب الحوار، كيف جاراهم وتدرج بهم ليصل بهم في النهاية إلى التوحيد، قال (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ

١ –نظرات في القرآن الكريم لفضيلة الشيخ الغزالى رحمه الله ص ١١٠ بتصرف

٢ – نظرات في أحسن القصص د/ محمد السيد الوكيل ١ / ٨

لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾) الأنعام: ٧٦ – ٧٩

أراد عليه السلام أن يقيم الحجةَ على قومه وذلك بمجاراتهم والتدرج بهم من مرحلةٍ إلى مرحلةٍ ومن حجةٍ إلى حجةٍ حتى يأخذ بأيديهم إلى طريق الهدى .

إنها محاورةٌ عملية ومناظرة واقعيةٌ ومساجلةٌ ميدانيةٌ لتكون أدعى إلى القبول وأبلغ في الاحتجاج .

قال الخازن رحمه الله : " الذي عليه جمهور المحققين : أن هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ إبراهيم وحين شرَّفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ... أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لأنهم كانوا يرون أن كل الأمور إليها، فأراهم إبراهيم أنه معظِّمٌ ما عظموه، فلما أَفَلَ الكوكبُ والقمرُ والشمسُ أراهم النقصَ الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والأفول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الألوهية ....، ... قال إبراهيم عليه السلام ذلك على وجه الاحتجاج على قومه، يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان إلهاً كما تزعمون لما غاب ". [1]

وقال الزمخشري : " ... وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدٍّ إلى أن شيئاً منها لا يصحُّ

١ – لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢ / ١٥٢ بتصرف ، ويراجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٧٦ .

أن يكون إلها، لقيامِ دليلِ الحدوثِ فيها، وأن وراءَها مُحدِثاً أَحْدَثَهَا، وصانِعاً صَنَعَهَا، ومدبراً دبرَ طُلُوعَهَا وأفولَها وانتقالَها ومسيرَها وسائرَ أحوالها " [1] .

لما أقبل الليل وخيَّم الظلام وأزهر هذا الكوكب في السماء، قال إبراهيم على سبيل مجاراة قومه واستدراجهم ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ ذلك أن الأفول والانتقال من حال إلى حال لا يمكن أن يكون من صفات الإله الحق، والنفس بفطرتها لا تركن إلى من يعتريه النقص والتغيُّر .

قال الزمخشري : قوله عليه السلام قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه . لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكرُّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة { ئي ئى ئم ئن} لا أحبُّ عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، المنتقلين من مكان إلى آخر، المحتجبين بسترٍ، فإنّ ذلك من صفات الأجرام " [2].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ تدرَّج بهم في مصاعدِ النَّظَر ومراقي الوصول إلى العقيدةِ الصحيحة، حيث وجَّه أنظارهم إلى القمر حين رآه بازغا في أفق السماء فقال على سبيل المجاراة، فوجَّه أنظارهم إلى حاجةِ الإنسان إلى الهداية الربانية، حتى ينجو من طريق الضلال، وأن الهداية لا تكون إلا من الله تعالى .

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ انتقل بهم إلى المرحلة الأخيرة في رحلة البحث عن الحقيقة،

---

١ – الكشاف للزمخشري ٢ / ٣٠ باختصار.

٢ – نفس المرجع ٢ / ٣١ بتصرف .

وقد كان من بينهم من يُعظِّمُ الشمسَ ويعبدُها من دون الله مع أنها كغيرها من النجوم يعتريها التغييرُ وتدورُ في هذا الفَلَكِ العظيم، وتغربُ هنا لتشرق هناكَ فلا يدومُ لها حالٌ . وليس بعد هذه الحجج الساطعة إلا إعلان البراءة من الشرك وأهله، ثم تقريرُ العقيدة الصحيحة وترسيخُها في النفوس ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ قال ابن كثير رحمه الله : " أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخِّرُهَا ومقدرُها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه " [1].

ويتجلى لنا من خلال هذه الآيات:

- أهمية الحوار في إقامة الحجة والإقناع مع جواز مجاراة الخصم للوصول إلى الحقيقة .
- حرصُ إبراهيم عليه السلام على دعوةِ أبيه، يرشدُنا إلى دور الداعية مع أهله وعشيرته، وتدرُّجه في الدعوةِ .
- أراد عليه السلام أن يقيم الحجةَ على قومه، وذلك بمجاراتهم والتدرج بهم من مرحلةٍ إلى مرحلةٍ ومن حجةٍ إلى حجةٍ حتى يأخذَ بأيديهم إلى طريقِ الهدى، إنها محاورةٌ عملية ومناظرة واقعيةٌ ومساجلةٌ ميدانيةٌ لتكون أدعى إلى القبول وأبلغَ في الاحتجاج .
- على المحاورِ أن يخاطب عقل من يحاوره كما يخاطب مشاعره ووجدانه، فيجمع بين الحكمة وهي خطاب العقل، والموعظة الحسنة وهي أقربُ وسيلةً للروح والوجدان، كما فعل إبراهيم عليه السلام .

ثانيا : حواره مع أبيه: قال تعالى

١ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٧٦

(وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ [مريم: ٤١ – ٥٠]

المناسبة

بعد الحديث عن زكريا وابنه يحيى عليهما السلام ومريم الصديقة وابنها عيسى عليهم السلام، وبيان رحمة الله تعالى بهم وتفضله عليهم وكمال عبوديتهم لله تعالى : يأتي الحديث عن أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، فهو جديرٌ بأن يذكر لما اتسم به من كريم الشمائل وعظيم الفضائل، فهو صدِّيقٌ صدق مع الله ومع الناس، وكان صادقا في سره وعلنه، وفيًّا بعهده ووعده، ومن كمال عبوديته وصدقه في دعوته وأدائه لرسالته : دعوته لأبيه وتأدبه معه وبره به مع بقائه على كفره وإصراره على ضلاله، وفي إيراد قصته ردٌّ على النصارى وغيرهم من المشركين ممن يدعي إتباع إبراهيم عليه السلام، فإن كانوا صادقين في محبته واتباعه والانتساب إليه فهذه هي دعوته التي دعا بها وابتلي بسببها، دعوة التوحيد.

قال أبو حيان في البحر المحيط:" ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى واختلاف الأحزاب فيهما وعبادتهما من دون الله، وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذي عبد جماداً والفريقان وإن اشتركا في الضلال، والفريق العابد الجماد أضل ثم ذكر قصة إبراهيم مع أبيه عليه السلام تذكيراً للعرب بما كان إبراهيم عليه من توحيد الله وتبيين أنهم سالكو غير طريقه، وفيه صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به وأن ذلك متلقى بالوحي " [1] .

قال تعالى ((وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾)

إن أول ما يستوقفنا في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه تلك الطريقة الحكيمة التي سلكها لإقناع أبيه، حيث حاكمه إلى مقدمات مسلَّمة، وثوابت لا مجال لإنكارها، وذلك من باب النصح والإرشاد النابع من قلبٍ صادق وعاطفةٍ رقيقةٍ وعقلٍ راجح: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ : فهذا الحوار جدير بأن يذكر ليقتبس منه الدعاةُ والمصلحون منهجا للدعوة والحوار .

﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾: نادى عليه بعاطفةٍ قوية نابعة من فطرة نقية، فالابن البارُّ دائمَ الحرص على والده، والإشفاق على حاله ومآله، ومن ثَمّ كان هذا النداء الرقيق ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ : ليفتح قلب أبيه ويرقّقَ مشاعرَه .

١ – البحر المحيط لأبي حيان ٦ / ١٩١

قال تعالى (لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾) ما الذي يرغمك على عبادة أحجارٍ لا تسمع ولا تبصر؟ وكيف تتوجه لها بالدعاء وتتضرع لها وتقدَّم لها القرابين، مع أنها لا تبصر ولا تسمع ولا تغني عنك شيئا ؟

فالأصل في العبادة أن تكون موجهة لذي الكمال والجلال، أمَّا أن تعبد أصناما ناقصة في ذاتها وفي أفعالها، فلا تسمع ولا تبصر ولا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا ينمُّ عن جهلٍ وبَيِينُ عن سَفَهٍ.

ولقد بدأ عليه السلام حواره بأسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى التعجب والإنكار، وهذا أسلوبٌ لطيفٌ، يحملُ المحاورَ المخالفَ على التفكيرِ، وإعادةِ النظر في الأمر، للوصول إلى الحق بنفسه، حتى لا يشعر بأنه أُفحِم وبُهِت، فتأخذه العزة بالإثم، ويمتنع عن قبول الحق انتصاراً للنفس، ولو بالباطل.

(يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾): أراد أن يلفت نظر أبيه إلى أن الحوار الهادف الذي بدأه معه لا بد وأن ينبني على العلم حتى يصل إلى نتائج صحيحة؛ فالعلم هو الذي يهدي إلى الحق ويبصِّر بالنور، وأنه عليه السلام لما كان على علمٍ، صارَ جديرا بأن يُتبع، وهذا من تأدبه وترفقه بأبيه فلم يصرح له بجهله وإنما عبَّر بهذا الأسلوب الذي يحقق المطلوبَ، دون أن يجرح مشاعرَ أبيه وينفره من دعوة الحق .

(يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾).

فكل من سلك طريق الغوايةِ والضلالِ فهو عابدٌ للشيطانِ ووليٌّ له، والشركُ من وسوسةِ الشيطانِ وتزيينِهِ .

ثم يختمُ كلامه بتحذيره من سخط الله وعذابه فيرافق الشيطان في جهنم كما وافقه في الدنيا، فحذره وأنذره من عذاب الرحمن مع مرافقة أهل الكفر والعصيان في النيران .

(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾) مع هذا اللطف في الدعوة والترفق في المحاورة من إبراهيم عليه السلام، فقد قابله أبوه بالإنكار والتقريع والعنف والتهديد الشديد بالرجم وطلب منه أن يهجره . فالعجب من هذا الأب الكافر الذي يقابل هذه الدعوة الطيبة والأسلوب الهادئ بالتهديد والوعيد إنه منطق الكفر حين تعييه الحجج ويعجز عن مقابلة البرهان بالبرهان .

لكن إبراهيم عليه السلام يقابل هذه الغلظة والجفوة برقة وحنان ورفق ولين، فيقول ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ : قابل الهجر والخصام، باللين والسلام، ووعده بأن يستغفر له ربه الذي تعود منه الحفاوة والإكرام . فهو سبحانه البرُّ اللطيفُ : والمراد أنه يستجيب لي إذا دعوته لأنه عوَّدني الإجابة لدعائي، وهو بذلك يرغِّب أباه ويحببه في هذا الرب الكريم ويعرِّفه به .

(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾) أي: عسى اللهُ أن يسعدني بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من أيس ممن دعاهم، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله .چ أعلن البراء مما عليه أبوه وقومه واعتزالهم، مع رجائه وحرصه في توبتهم، فوهبه الله تعالى ذرية طيبةً وجعل النبوة والكتاب فيهم

(فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾) ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ؛ فهذا إبراهيم يعتزل قومه وينتصر للحق على حساب العاطفة والمصلحة، فيعوضه الله تعالى بأهله وعشيرته ذريةً طيبةً، ويجعل النبوة فيهم ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ . وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا: وهذا يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة، من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الطيبة، الذين كثر فيهم الأنبياء والصالحون . وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾: فذكرهم في الخافِقَينِ يتردد، والثناء عليهم ومحبتهم نبضُ القلوب، وحديثُ الألسنة، فهم أئمة الهدى وأعلام الحق، ولا تزال ذكراهم في سائر العصور تتجدد، وهذا أيضا من الرحمة التي وهبها الله لهم عليهم السلام.

ومما يستفاد من هذه القصة:

في وصف إبراهيم عليه السلام بالصديقية قبل وصفه بالنبوة : إشارة إلى أن الصدق سجيةٌ فيه وأنه كسائر الأنبياء عليهم السلام عُرفوا بين الناس بالصدقِ قبل بعثتهم، كما كان نبينا ﷺ يدعى قبل بعثته بالصادق الأمين، فاستقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى قبول دعوته وثقة الناس فيه .

لطف الخطاب وأدب الحوار مع المخالف، فرغم عِظَمِ المخالفةِ وجلاء الحق وزيف الباطل، إلا أن هذا لا يمنع من الحوار حول هذه القضية المحسومة ؛ فالحوار هو وسيلة الإقناع .

" يبدأ إبراهيم عليه السلام خطابه لأبيه بلين وأدب جميل، واستعطاف يبدأه بنداء الأبوة { يا أبت} يستثير بهذا النداء أبوته الحانية، ويحرك مشاعره الراكدة، يلامس بهذا

شغاف قلبه، ليس هذا فقط، بل يكرر هذا النداء المؤثر أربع مرات مع كل خطاب لأبيه، إن لم تؤثر الأولى فعسى أن تؤثر الأخرى " [1] .

* من فنون الحوار التي تعين على نجاحه : براعة الاستهلال وحسن الختام، وهذه الفنون تتجلى في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه [2].

تدرج إبراهيم عليه السلام في الحوار حيث بدأ بالاستفهام الإنكاري ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾﴾

ثم بالتقرير الخبري ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾

ثم بالنهي الصريح ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾

ثم بالترهيب ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾

وذلك لما يعلمه من تشبث أبيه بالشرك وإصراره عليه .

ومع التدرج في الحوار : نلمس التنوع في العرض، فمرة يكشف له عن زيف معتقده، وأخرى يقرر له العقيدة الصحيحة، وثالثة يحذره من كيد الشيطان، ورابعة يحذره من غضب الرحمن وعذابه .

---

١ – الحِوار في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دروس ودلالات ، إعداد أ.د . محمد بن عبد الرحمن الشايع ، ص٥

٢ – يراجع بحثي الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام .

تكرر اسم الله الرحمن في هذا الحوار، وذلك ليحمل إبراهيم عليه السلام أباه على التفكر والنظر في هذا الإله الرحيم الذي يمهله، ولو شاء الله لعجّل بعقاب الكفرة لكنه تعالى يرزقهم ويحفظهم إمهالا لهم، وأنه تعالى لا يعذب إلا من يستوجب العذاب، وأن الذي يطيعه تعالى يدخل في رحمته.

استحباب متاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج مع مقابلة إساءته بلطف وإحسان كما فعل إبراهيم عليه السلام حين أنهى الحوار مع أبيه بالسلام .

ومن أدبه عليه السلام :اختياره كلمة الاعتزال في مقابل تعبير أبيه بالهجر، فالهجرُ أشدُّ من الاعتزال إذ الاعتزال يعني الابتعاد وعدم المشاركة والموافقة في الرأي مع تكرار المحاولة إذا سنحت الفرصة أما الهجرُ فيحملُ معنى القطيعة والجفاء.

المبحث الثالث: التدرج في قصة أصحاب القرية.

من النماذج المضيئة في منهج التدرج قصة أصحاب القرية، والتي وردت بتمامها في سورة يس، قال تعالى (وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ

ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾) يس ١٣ – ٢٧

نلمس التدرج هنا في إرسال الرسل حيث بعث لهم رسولين، فكذبوهما فأيدهم بثالث تعزيزا لهم، أي تقوية لموقفهم.

كما نلمس التدرج في دعوتهم أولا { إنا إليكم لمرسلون} ثم حين كذبوهم وأنكروا نبوتهم معترضين على بشريتهم بل جحدوا كل ما أنزل الله، كان الأسلوب أقوى تأكيدا { قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون}، فهو الذي أرسلنا وأيّدنا، وهو الشاهد علينا وهو حجتنا وبرهاننا، فكيف تدّعون أنّه لم يُرسل أحداً . وما مهمّتنا إلّا التّبليغ بوضوحٍ وبيانٍ وهل بشريّتنا تقصر بنا عن ذلك. فقال الكفار: إنّا تشاءمنا منكم وضقنا ذرعاً بكلامكم، لئن لم تكفّوا عن دعوتكم لنرجمنّكم بالحجارة حتّى نُسكتكم، ولنُذيقنّكم عذاباً مؤلماً .

قالوا تشاؤمكم معكم لا يُفارقكم، إنّها أعمالكم التي ستودي بكم للهلاك، فمصيركم بأيديكم، حسبما تختارون لأنفسكم من أعمال ستجنون ثمارها، أهكذا جزاء النّصح والتّذكير! بل أنتم قومٌ غارقون في التّمتُّع، مفرطون في الهوى والملذات، تحاربون كل من يقف في وجه رغباتكم الجامحة. وبينما السّجال دائرٌ بين المُرسلين وأصحاب القرية إذ جاء رجلٌ من أطراف المدينة يسعى بهمّةٍ وجِدّ، فما إن وصل لساحة الحوار حتَّى نادى على قومه نداء المُحبّ المُشفق : يا قوم اتّبعوا المرسلين؛ فإنّهم على الحق و الهدى، اتّبعوا من لا يسألكم أجرةً، فتجردهم دليلٌ على صِدق دعوتهم، إذ ليست لديهم مطامع ماديّة، وسيرتهم وسلوكهم يشهد بذلك. دعاهم أولا لاتباع الرسل، ثم بين لماذا إفراد الله بالعبادة؟

وكيف لا أعبدُ الذي فطرني وأوجدني من العدم وإليه مرجعكم ومآبكم، والظّاهر أنّهم كانوا يُقرّون لله بالرّبوبيّة، فإذا كان المنشأ والمرجع من الله؛ فلماذا لا أعبده تعالى، ثُمّ تساءل بأسلوب يُفيد التّعجُّب والإنكار : أأشرك بالله تعالى وأدَّعي له

النِّدَّ، وما تملك هذه الأنداد ؟ إن يُردني الرّحمن بضُرٍّ، لا تُغني عنّي من الله شيئًا، ولا تشفع لي عبادتي له، ولا تُنقذني، فكيف ولماذا أُشركها مع الله، إني حقا منغمسٌ في الضلال البين، إن اتّخذت هذه الأصنام آلهة ورجوت شفاعتها ونفعها. إنّي أُعلن أمامكم وأؤكّد إيماني بربّكم الذي خلقكم ورزقكم وصرّف أموركم فاستجيبوا لي وأصغوا لكلماتي .

وهُنا ينتقل المشهد إلى الدّار الآخرة حيث انتقل الرّجل إليها، والظّاهر أنّهم قتلوه حنقاً وغيظاً من كلماته الصّادقة فنال الشّهادة، وانتقل إلى جوار الرّحمن، ليقال له: ادخل الجنّة، حيث تنتهي به تلك الرّحلة ويفضي به هذا الطّريق الذي سلكه إلى جنّات النّعيم، ولا يزال الرّجُل يحمل مشاعر طيّبة نحو قومه ويرجو هِدايتهم مع ما جنته أيديهم الآثمة فيقول متمنيا هدايتهم يا ليت قومي على دراية بمغفرة ربي وستره لي وأن ألحقني بعباده المكرمين، في جنات النعيم .

ومن اللطائف المستنبطة :

- منهج القرآن في التدرُّج أنه يؤخر الكلام عن الثواب والعقاب المترتب على امتثال الأوامر واجتناب النواهي عن ذكرها، ويقدم خطاب العقل على خطاب الوجدان، فيقدم الحكمة التي يسلم لها العقل على الموعظة التي تلامس شغاف القلب، إذ الانسلاخُ عن الباطل والتبرؤ منه وامتثال التكاليف الشرعية ليس بالأمر الهيّن على النفوس التي جُبلت على إلف العادة والتعصُّب للعشيرة، والميل إلى الراحة والسلامة، والركون إلى اللهو والدّعة، فتحتاج لإيقاظها من غفوتِها، وتنشيطِها من عقال هواها، إلى الحجة البالغة والموعظة الحسنة عن طريق الحوار الهادف الهادئ.
- لو فرضت الأحكام دفعةً واحدة لشقَّ ذلك على النُّفوس وثقُل، ولكنَّ القرآن تدرَّج بأهل الإيمانِ حتى يُطيقوها ويمتثلوا لها، فانتقل بهم من حكمٍ إلى حُكمٍ ومن تشريعٍ لتشريع، ونزلت بعضُ الأحكام مقترنةً بوقائع

وأحداث، وبعضُها إجابةً عن تساؤلاتٍ، فكانت أعظمَ رُسُوخًا في الأذهان، وأسرعَ بلوغا إلى القلوب والوجدان .

- الانطلاق في الحوار من النقاط المسلَّم بها والمتفق عليها .
- الالتفات في الخطاب من براعة المحاور وحسن بيانه وتأدُّبه وترفُّقه وتلطُّفه بقومه.
- جمع في قوله: {وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي} بين أمرين : الأول: عدم المانع الذي يمنعه من الإيمان في قوله: {وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فطرني}، والثاني: هو قيام المقتضى الذي يدعوه إلى الإيمان، وهو في قوله: {الَّذِي فَطَرَنِي}، فالله الخالق مالك ومنعم، وعلى العبيد عبادته وشكره.
- قال القرطبي:"وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمُّر في تخليصه، والتلطُّف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرةٌ عبدة أصنام، فلما قُتِلَ غضب الله له وعجل النقمة على قومه، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم " .[1]
- إيجاز القرآن بالحذف، حيث لم تذكر أحداث كثيرة؛ اكتفاء بدلالة السياق عليه وكذلك بالقصر حيث خذا الإيجاز مع استيعاب الأحداث، كما لم تذكر اسم هذه القرية سترا على أهلها كما لم تذكر اسم القرية التي مر بها موسى والخضر، وهذا درس في الستر.

١ – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥ / ٢٠) .

الخاتمة

١. القصص القرآني تثبيت لقلب رسول الله ﷺ وتسلية وتسرية وزاد له في دعوته .

٢. القصص القرآني : عظة وعبرة وهداية ورحمة وتفصيل وبيان. وتثبيت للقلوب وتزكية للنفوس وسمو بالأرواح .

٣. والحوار سبيل الإقناع ومفتاح القلوب وأسلوب التواصل والتفاهم، ووسيلة التعارف والتآلف ومنهج الدعوة والإصلاح ومسلك التربية والتعليم، ومجمَعُ التقارب والالتقاء، وسَنَنُ الأنبياءِ عليهم السلام، مع أقوامهم لإقامة الحجج ودفع الشُّبه .

٤. لفت نظري في الحوار القرآني عند دراستي للقصص القرآني ذلك التدرج الحكيم، والترتيب المحكم، بحيث لو قدمت جملة على أخرى لاختلّ المعنى.

٥. للحوار أهميته البالغة فهو من أساليب الإقناع وإقامة الحجة، ولقد سلكه القرآن إلى حد كون القرآن كله حوارات مختلفة ومتشابكة ومتنوعة، لكن الغرض منها تقرير العقيدة والأحكام وغرس القيم والأخلاق، والتأثير على النفوس، وشحذ الهمم.

٦. يعلمنا القرآن كيف نتحاور مع من يخالفنا في العقيدة، كما يعلمنا كيف نتحاور مع بعضنا البعض، فبالحوار تتقارب المسافات، وتتغير القناعات، وتتآلف القلوب.

٧. ولكنَّ القرآن تدرَّج بأهل الإيمانِ في الأحكام؛ حتى يُطيقوها ويمتثلوا لها، فانتقل بهم من حكمٍ إلى حُكمٍ ومن تشريعٍ لتشريع، ونزلت بعضُ الأحكام مقترنةً بوقائع وأحداث، وبعضُها إجابةً عن تساؤلاتٍ، فكانت أعظمَ رُسُوخًا في الأذهان، وأسرعَ بلوغا إلى القلوب والوجدان .

٨. بينت في هذا البحث أهمية التدرج في الحوار ، وكونه سمة من سمات المنهج القرآني، ومسلك من مسالك الدعوة والتربية، والإصلاح، والتفاهم، كما استوقفتني ثلاث قصص قرآنية تجلى فيها هذا التدرج القرآني في الحوار، لإقامة الحجة، وكسب القلوب. قصة ابني آدم، كيف كان رد فعل الابن البار عندما باغته أخوه مهددا بقتله، كيف حاوره، ليس دفاعا عن نفسه ودفعا للخطر الذي يحدّق به فحسب بل من أجل ان يصلح أخاه ويرشده لطريق الخير، وكذلك حوار إبراهيم مع قومه ثم مع أبيه كيف نتعلم أسس التدرج في الحوار من مجاراة الخصم والبدء بالمسلمات، وتقديم ما يحتاج لتقديم وتأخير ما حقه التأخير، بحيث يخرج الأسلوب ملاطفا والقول ليّنا، وكذلك حواره مع أبيه بهذا الأدب والعاطفة الجياشة، ثم التدرج في قصة أصحاب القرية، كيف لم يرسل الله الثلاثة دفعة واحدة، بل أرسل اثنين ثم عززهما بثالث، ثم جاء دور الرجل الصالح وحواره البناء وأسلوبه الأخّاذ، كيف تدرّج بقومه، ونجحت دعوته، وإن كانوا قد غدروا به فنال الشهادة تتويجًا لهذا العمل البطولي.

٩. أوصي بدراسة الحوارات الأخروية وما تحويه من دروس وعبر.

١٠. أوصي بأن يكون الحوار منهاجا في حياتنا الأسرية والعلمية والدعوية.

مراجع البحث

١. الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي ط عالم الكتب بيروت بدون تاريخ
٢. إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي السعود (محمد بن محمد مصطفي العمادي الحنفي ت ٩٨٢ هـ ط دار الفكر بدون تاريخ).
٣. الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى رحمه الله ط دار السلام بالقاهرة ١٩٨٤م
٤. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي رحمه الله ط البابي الحلبي بالقاهرة
٥. تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة الدينوري أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) . ط دار التراث .
٦. التحرير والتنوير للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣هـ ط دار سحنون للنشر والتوزيع تونس .
٧. تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤ هـ ط دار التراث العربي بدون
٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدى ت ١٣٧٦ هـ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٣هـ ط ١
٩. جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ ط دار إحياء التراث العربي ط ٢
١٠. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ط دار الكتب العلمية بيروت .

١١. الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام ، مؤتمر : الحوار في الفكر الإسلامي ١٤٢٨هـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة .
١٢. الحِوار في قصص إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دروس ودلالات ، إعداد أ.د . محمد بن عبد الرحمن الشايع ، مؤتمر : الحوار في الفكر الإسلامي ١٤٢٨هـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة –
١٣. الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي دار الفكر دمشق .
١٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ ط دار الفكر بدون.
١٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ت ٥٢٨ هـ ط دار الفكر بدون
١٦. مباحث في علوم القرآن د. صبحي الصالح دار العلم للملايين. بيروت
١٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢ هـ .
١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ ، ط دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر ١٩٥٧ م ، وطبعة مؤسسة قرطبة القاهرة بتعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط
١٩. معالم التنزيل للبغوي الحسين بن مسعود ت ٥١٦هـ ط دار الكتب العلمية بيروت .
٢٠. معاني القرآن:أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)ت: محمد علي الصابوني ط ١جامعة أم القرى ١٤٠٩.
٢١. المعجم الكبير للطبراني ط دار البيان العربي ط ٢ بدون تاريخ

٢٢. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين): زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦هـ). دار ابن حزم، بيروت ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٣. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي ت ٦٠٦ هـ ط دار الفكر سنة ١٤٠٥ هـ

٢٤. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ ط البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٢٤هـ

٢٥. نظرات في أحسن القصص د/ محمد السيد الوكيل ط دار القلم بسوريا ط أولى ١٤١٥ هـ .

٢٦. نظرات في القرآن الكريم لفضيلة الشيخ الغزالى رحمه الله ط دار الكتب الحديثة ط ٥